

وقفه مع الأديب الإيراني نادر نظام طهراني؛ وتحليل شعره

سيد محمدرضى مصطفوى نيا*

حميد دادفر**

الملخص

يعتبر الأستاذ الأديب الشاعر نادر نظام طهراني، من الشعراء الإيرانيين الذى ينظم بالعربية، حيث طبع ديوانه مؤخراً، ولاقى استقبالاً واسعاً فى الأوساط الأدبية. كما تشمل أشعاره شتى المواضيع، ومختلف الأغراض؛ والمتتبع لأشعاره يلمس صبغة العلوم القرآنية، والروائية فيها بشكل واضح، حيث استخدم التلميح، والاقْتباس خير استخدام، واستطاع بسمو شخصيته، وبساطتها أن يصور عاطفته الدينية النقية بالاستدلالات القرآنية، والمفاهيم السامية بشكل إبداعي رائع. ومن ناحية أخرى، فهو شاعر يقُدس الوجود الإنساني، حيث إن الإنسانية، والتطرق لمصير البشر فى شعره، يصور نزعة السياسية الهادفة لتكريم الإنسان بما هو إنسان؛ إلا أنه مع ذلك، لم ينأ عن عنصرى الطبيعة، والخيال؛ فالطبيعة فى أشعاره تحتل منزلة خاصة إذ استخدم صورها فى معانٍ كثيرة، خصوصاً عندما تكون استعاراته، وتشبيهاًته مستوحاة منها بشكل بديع، يسحر لب كل قارئ ذواق للشعر.

الكلمات الدليلية: نظام، الشعر، التحليل.

*. عضو هيئة التدريس بجامعة قم.

** عضو هيئة التدريس بجامعة آزاد الإسلامية فى دامغان.

المقدمة

يعتبر الأستاذ البروفسير نادر نظام طهراني، شاعر هذه الأرض الطيبة، أضحى اسمه معهوداً لدى الأدباء، ومحبي الشعر العربي. وطبع ديوانه مؤخراً بجهود الدكتور رقية رستم بور، وأثلج صدور طلاب اللغة العربية، وأسأتذتها، ونال إعجابهم، وتقديرهم. وبيّن الشاعر في هذا الديوان، أحاسيسه تارة كفرد واحد، وأخرى كأمة، ممّا أدّى إلى رقى الأشعار، وخلودها. وتجدر الإشارة هنا إلى كلمة الأديب المشهور إبراهيم الجيلاني عن هذا الشاعر الفذ، حيث قال: «لازلت أذكر نادر نظام الطالب في السنة النهائية، بكلية الآداب بدمشق سنة ١٩٥٧م. فقد ترك في ذهني صورة تختلف عن أتراه الطلاب، فقد كان هادئ الطبع، جمّ التهذيب، رصين الحركات في جوّ يسوده انفعال الشباب، وحدّته، وحيويته المراهقة، واستهتارها. وتعلو شفّيته ابتسامة، فيها شيء كثير من الاتّزان، والنضج المبكّر. وكانت الدلائل تشير إلى أنه سيكون بعد تخرجه من الجامعة، مدرساً ناجحاً أميناً على خدمة طلابه، ورعايتهم، وبذل الجهود في نقل العلم الصحيح إلى أذهانهم، والخلق الكريم إلى نفوسهم، ولم أكن أدري يوماً أنه يولع بنظم القريض، ويسبح في الآفاق العليا، وسيهيم على أجنحه الخيال.» (نظام، ١٩٦١م: ب)

يتناول هذا المقال في البداية، حياته، وسيرته، ثم يتطرق إلى العلوم القرآنية، والروائية في شعره، وأخيراً، يحلل واقع العالم، والطبيعة في شعره. وبإدنى ذى بدء وقبل تناول أشعاره، لا بأس أن نلقى نظرة على حياته، وسيرته، وتأليفه التي أتحفت المكتبة العربية.

لمحة عن حياة الشاعر نادر نظام

ولد الشاعر، الناقد، المترجم، والأديب المعاصر الأستاذ الدكتور نادر نظام طهراني سنة ١٣١٢ش في العاصمة السورية دمشق. بدأت مسيرته الدراسية الابتدائية في هذه المدينة بمدرسة المحسنية، وأكمل المتوسطة، والإعدادية في ثانوية أسعد عبد الله، حتّى عام ١٣٣٢ش، والتحق بعدها بجامعة دمشق، ليدرس اللغة، والأدب العربي هناك. أمّا دراسته العليا على مستوى الدكتوراه، فقد أكملها في جامعة طهران ليحصل سنة ١٣٤٩ش، على



شهادة الدكتوراه في اللغة والأدب العربي منها.

جدير بالذكر أنه جاء إلى إيران، عام ١٣٤٣ش، وبدأ بالتدريس في كلية الترجمة، وفي عام ١٣٥١ش، وقام بتأسيس فرع اللغة العربية في هذه الكلية بطلب من المرحوم آريانبور، كما قام بتأسيس فرع اللغة العربية في المدرسة العليا للغات الأجنبية، بطلب من المرحوم علي أصغر حكمت. (رستم بور، ١٣٨٦ش: ١٣)

وأصبح عضواً في اللجنة التدريسية بدرجة أستاذ معين في فرع اللغة العربية بجامعة الشهيد تشرمان (جندی سابور سابقاً) عام ١٣٥٣ش، كما حصل على درجة أستاذ مساعد عام ١٣٧٥ش، أما درجة أستاذ فقد حصل عليها عام ١٣٨١ش.

ولازال أستاذنا الأديب مستمراً في مسيرته التعليمية في عدة منابر للعلم، حيث درّس في عدة جامعات، من أبرزها جامعة العلامة الطباطبائي في طهران، وجامعة القضاء، وجامعة الزهراء، وجامعة آزاد الإسلامية في جيرفت، وجامعة آزاد الإسلامية في مدينة قم، وجامعة آزاد الإسلامية فرع طهران الجنوبية. وحصل أستاذنا الشاعر طوال مسيرته الحافلة، على شهادات تقديرية عديدة، من أبرزها شهادة تقديرية من موسوعة المعارف الحسينية في لندن، والمركز الثقافي الإيراني - السوري، ومختلف الجامعات، والمراكز العلمية.

تولّى الأستاذ رئاسة فرع اللغة العربية، وآدابها في جامعة الشهيد تشرمان منذ عام ١٣٥٦ش، ولغاية عام ١٣٦٢ش؛ كما عُيّن رئيساً لفرع اللغة، والأدب العربي بجامعة القضاء العليا في مدينة قم، منذ عام ١٣٧٤ش حتى ١٣٧٦ش. بالإضافة إلى ذلك، حصل الشاعر نظام، على مناصب متعدّدة، داخل المراكز الجامعية، وخارجها، نذكر بعضاً منها: المدير، والمشرف على راديو، وتلفزيون في خوزستان، منذ ١٣٥٣ش إلى ١٣٥٤ش. (الباطين، ١٩٩٦م، ج ٤: ١٦) الإشراف على تنظيم الموسوعة الإسلامية الكبيرة، والعضوية في لجنيتها العلمية عام ١٣٦٦ش، والمشاركة في إعداد مجموعة المعجم المفهرس للكتب الأربعة، وتنظيم المواضيع العربية فيه، والمستشار العلمي في مجلة العلوم الإنسانية، وعضوية مجلس الإشراف، والتقييم التعليمي في جامعة العلامة الطباطبائي، وعضوية



مجلس البحوث التخصصية في جامعة العلامة الطباطبائي منذ عام ١٣٨٠ إلى ١٣٨٨ش. إضافة إلى ذلك، فهو عضو في هيئة تحرير مجله البحوث العلمية، التي تصدر عن كلية الآداب، والعلوم الإنسانية في جامعة طهران، وعضو في هيئة تحرير مجلة اللغة العربية وآدابها، ورئيس تحرير مجلة الأدب المقارن، بجامعة آزاد الإسلامية في مدينة جيرفت.

هذا وقد ساهم الأستاذ في تأسيس فرع اللغة العربية، وآدابها، على مستوى الماجستير في جامعة قم، كما تطمح جامعة آزاد الإسلامية في مدينة جيرفت، إلى تأسيس فرع الأدب المقارن، على مستوى الدكتوراه بجهوده المتواصلة. ومن ناحيه أخرى، أشرف الأستاذ على تدوين أكثر من مائة رسالة جامعية، كما قام بتقييم عدة أطروحات في الدكتوراه.

أما الشعر فهو مصدر إلهام هذه الشخصية، وإبداعه، وشهرته المرموقة، فقد كانت له اليد الطولى في نظمه، وإنشاده، حيث كانت أغراضه متنوّعة. وتمت طباعة أشعاره في المصادر، والصحف المحلية، والأجنبية. كذلك قد ترجم ثلثي المجلدات الثلاثة الأولى من موسوعة المعارف الإسلامية الكبرى برمز (ن . ن)، وترجم الكثير من المقالات لمجلة العلوم الإنسانية، وكان له الدور الفعّال في ترجمة خطابات الإمام الخميني (ره) باللغة العربية.

شخصية أستاذنا الشاعر الأخلاقية والعلمية

الأستاذ الدكتور نظام ذو شخصية قوية، محترمة، فهو حسن الخلق جزيل البيان، ويصفه الجميع بأنه ذو قلب عطوف، وصدر واسع بسعة البحر. ونظراته نافذة، وصوته جهورى، ومزاحه محبّب.

وكاتب هذه السطور خلال دراسته الجامعية - منذ عقد السبعينيات - وإلى اليوم، لم يره يغضب قط، فهو هادئ، وحليم، صابر، وراسخ في مواقفه كالجبل، ويشهد له جميع الطلاب بأنه أبّ رؤوف، وأستاذ عطوف، يتمنى الخير للجميع. واهتمامه بزيه، وآدابه



الحميدة، وحضوره المنظم في الصف، أصبح أمراً مألوفاً بين الجميع إلى درجة لم يره أحد لحد الآن، تغيرت أناقته، أو أهمل درسه. ويمكن القول بشكل عام بأنه أستاذ أنيق، ومنظم في ظاهره، وباطنه.

ومن أهم خصائصه التي تجدر الإشارة إليها، تواضعه الذي يشهد به القاصي والداني، وكذلك تفسيره لأشعار كبار الشعراء العرب، حيث إنه يوضح أكثر الأبيات تعقيداً، ببيان سلس، وجميل، وينقدها نقداً منطقياً لا نظير له، يسحر السامع بكلماته العذبة الفصيحة. فهو لا يفرّق في تدريسه بين مستوى الدارسين، سواء مستوى الدكتوراه أو البكالوريوس، فبيانه، وأخلاقه، وصبره، وحلمه، وسعة صدره صفة ملازمة له أينما حلّ ونزل. فهو أستاذ محترف بكل معنى الكلمة، وعندما يدرّس يشدّ السامع نحوه ولا يشعر أحد بالكلل، أو الملل من درسه، ويغوص في غمار بحر علمه الواسع.

ومن خصائص أستاذه العزيز الأخرى، روح الشباب، والنشاط اللذان يتجليان عندما يقف من أول الدرس إلى آخره، ولا يجلس لحظة واحدة، وحركاته المستمرة تلفت الأنظار، ولا يمكن للذهن أن يشرد في درسه لجذابيته، فيسقى الطالب من عبق علمه، وخلقته، وحركاته روح الأمل والنشاط.

أما ذاكرته، فهي قوية نافذة، حيث يوضح أدقّ المسائل التاريخية، والشعرية عن ظهر قلب يسحر من خلاله نفوس الحاضرين. وكذلك فإنّه سريع البديهة عاجل التبادر، إذ يجيب على أي سؤال بلا تردد، أو تأنّ، ويستدل بأنسب الاستشهادات، وأكملها.

ويرى الكثيرين، أن هذا الفحل العلم، قد جمع مختلف العلوم الأدبية، وترجع على عرش قمة الشعر مع الصف الأول من الشعراء العرب؛ وبلاغته سمت سمو علوم السكاكي، والتفتازاني لدرجة أنه عندما يوضح آرائهم، كأنما السكاكي أو التفتازاني يتحدث للسامعين؛ وتدرسه لشتى أنواع العلوم الأدبية العربية لا نظير له، فهو نحوي، وصرفي، وأديب، وناقد، ومؤرخ، وملمّ بكافة جوانب اللغة بكل معنى الكلمة، وقد أعانه على ذلك كونه متكلم لاعم، وفصيح فصاحة عرب الأزمنة الخوالي.

وبشكل عام، فهو شاعر من الطراز الأول، ومثّق القريحة، يهبّ شعره كالنسيم العليل

فينعش الجسد، ويبهر الروح بعدوبته، ولطافته. وهو ناقد دقيق يجذب الذهن، لآرائه ببحوثه المتكاملة الذكية التي تكون حجّة، وعبرة. وهو مترجم بارع، ينطبق عليه لقب شيخ المترجمين لرصانة تعابيره، وتطابقها.

وأقيم احتفال بهيچ في جامعة قم عام ١٣٨٧ش لتكريمه، وتقدير جهوده الجبارة في خدمة العلم، واللغة العربية، حيث قام أساتذة الجامعة بمدحه، وتقدير شخصيته الفذة عن طريق خطابات، وأشعار صورت حبهم له، كما أقيمت حفلة أخرى لتكريمه بجامعة العلامة الطباطبائي عام ١٣٨٢ش تقديرا له ولجهوده العلمية، والتعليمية.

أبرز مؤلفاته

- ١- نصوص من النظم والنثر في العصر الجاهلي، بالتعاون مع الدكتور سعيد واعظ، منشورات جامعة العلامة الطباطبائي، ١٣٧٢ش.
- ٢- العروض العربي، منشورات جامعة العلامة الطباطبائي، ١٣٧٠ش.
- ٣- العروض العربي وتطوره، منشورات جامعة العلامة الطباطبائي.
- ٤- نصوص من النظم والنثر في العصر الحديث، بالتعاون مع الدكتور سعيد واعظ، منشورات جامعة العلامة الطباطبائي، ١٣٧١ش.
- ٥- نصوص من النظم والنثر منذ صدر الإسلام حتى سقوط بغداد، بالتعاون مع الدكتور سعيد واعظ، منشورات جامعة العلامة الطباطبائي، ١٣٧٨ش.
- ٦- نصوص من النظم والنثر في عصر الانحطاط، منشورات جامعة العلامة الطباطبائي، ١٣٧٩ش.
- ٧- تاريخ الأدب في عصر الانحطاط، منشورات فرهيخته، ١٣٨٠ش.
- ٨- المختصر في تاريخ الأدب الفارسي، منشورات جامعة العلامة الطباطبائي، ١٣٨٣ش.
- ٩- النقد عرض وتحليل، منشورات كلية الآداب في جامعة العلامة الطباطبائي.
- ١٠- اللحن الخالد (ديوان شعري)، مطبعة كرم، دمشق، ١٩٦٢م.



- ١١- نفحات شعرية (ديوان شعر)، منشورات فرهنك منهاج.
- ١٢- قاموس نادر (أربعة مجلدات)، فارسي - عربي، منشورات جامعة العلامة الطباطبائي.

أبرز مقالاته

- ١- مرور ورأى على ترجمة الأغاني، فصلية الترجمة، شتاء ١٣٦٥ش، الجهاد الجامعي في جامعة العلامة الطباطبائي.
- ٢- ابن الفارض والخمرة الروحية، مجلة العلوم الإنسانية (وزارة التعليم العالي)، الأعداد ٢٠١، ١٣٧٠ش.
- ٣- الشيخ طاهر الجزائري، لغة وأدب، فصلية كلية الأدب الفارسي واللغات الأجنبية في جامعة العلامة الطباطبائي، السنة الأولى، العدد ١، ربيع ١٣٧٥ش.
- ٤- البحث في الإسلام والطالب الجامعي، لغة وأدب، السنة الثانية، العدد ٥، ربيع ١٣٧٧ش.
- ٥- نقد قصير لـ «ديوان العشق» صلاح الصاوي، لغة وأدب، السنة الثانية، العدد ٦، شتاء ١٣٧٧ش.
- ٦- قضية فلسطين قضية المسلمين، مجموعة مقالات وجلسات في تحليل احتلال فلسطين، جامعة العلامة الطباطبائي، طهران، ١٣٧٩ش.
- ٧- رواد غزل المجون القصصي في الشعر العربي، مجلة البحوث العلمية بكلية الآداب، جامعة طهران، العدد ١٥٥، الدورة ٣، خريف ١٣٧٩ش.
- ٨- مقدمة ديوان «أغصان الزيتون» لصلاح الدين زاواي، مؤسسة نشر وطباعة وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ١٣٧٩ش.
- ٩- اللغة العربية وظاهرة السجع في الجاهلية والإسلام، منشور خاص بكلية اللغات الأجنبية في جامعة تربيت معلم، السنة التاسعة، العدد ٣٣، شتاء ١٣٨٠ش.
- ١٠- القديم والجديد في الشعر وقدرته على التوصيل، اللغة العربية وآدابها، جامعة



فرديس فرع جامعة طهران بقم، السنة الأولى، العدد الأول، ٢٠٠٥م.

١١- تأريخ الأدب الفارسي، الموسوعة الأدبية بدمشق، ١٩٩٦م.

١٢- الشعر العربي أسير مشاكل العالم العربي، حوار مع جريدة إيران، العدد ٨٢٨،

السنة الثالثة.

يذكر أنّ الأستاذ نادر نظام له ولدان، هما سامر متخصص في مجال الحاسوب، وسامع

يحمل شهادة الماجستير في قسم الإدارة والاقتصاد. (جامعة آزاد الإسلامية، ١٣٨٧ش: -٢٥١

٢٥٢)

أشعاره

أى قارئ يتصفح ديوان هذا الشاعر الكبير، فإنه دون شك سوف يدرك أنه قد أنشد

شعراً في مختلف الأغراض الشعرية، لذلك نجد ديوانه يتناول مواضيع متنوعة مثل:

المديح، والثناء، والوصف، والحكمة، وما إلى ذلك من أغراض شعرية. كذلك نلاحظ

تأثير القرآن، والدين، والبيئة التي يعيش فيها على قصائده. وفي الواقع يمكن القول إن

نظام شاعر قد استنشق عقب علوم الدين، وروعة الأدب من بيئته.

نشير هنا إلى بعض مضامين نظام الشعرية:

أولاً، العلوم القرآنية، والروائية:

نلاحظ جذور العلوم القرآنية بشكل واضح في القالب العام لشعره، من خلال عباراته،

وكلماته التي تدل على ذلك، وهذه قشرة ظاهرية للتناسق الموجود بين شعره، والعلوم

القرآنية حيث إنه قد اجتنب الإطالة، وراعى الإيجاز، وترك الباقي للقارئ الذواق كى

يستنبط المعنى المراد من المعانى القرآنية، والعلوم الدينية، ويمكن حصر ذلك في

نقاط:

١- الترغيب على الوحدة، والتمسك بحبل الهت:

الشاعر فى قصيدته «قضية فلسطين، قضية المسلمين» يدعو الأمم لرص الصفوف،

والاتحاد لأنها طريق النصر الوحيد، إن أرادوا ذلك، فيقول:



يا سادتي يا أمّتي عودوا إلي
مستعصمين بحبل الله حولهم
فالفجر يشرق من عيون الغيب
واستيقضوا ودعوا التخاذل والخنا
حبل الإله ودافعوا بالمنكب
أبناء شعب كريم الأصل والشيم

(نظام، ١٣٨٦ش: ٣٠)

أشار الشاعر هنا إلى الآية الشريفة: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا﴾ [آل عمران: ٣]

٢- الاعتقاد بعصمة أهل بيت الرسول (ص):

نلاحظ الإشارة إلى الآية المباركة: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً﴾ [الأحزاب: ٣٢]

وأهل بيتك بيت الطهر جارية
عيونهن يرين الحق كفرانا

(المصدر نفسه: ٣٣)

٣- خسارة الدنيا والآخرة:

كذلك نلاحظ الإشارة إلى الآية المباركة: ﴿وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة﴾ [الحج: ٢٢]

خسرت دنياك والعقبى وما ظفرت
كفّاك إلا بما يكفيك خسرانا

(المصدر نفسه: ٣٤)

٤- تعليم الأسماء كلها لآدم:

أيضاً نلاحظ الإشارة إلى الآية المباركة: ﴿وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة﴾ [البقرة: ٢٢]

يا إلهي علّمت آدم أسما
ءك طرّاً، فما تركت لعذر

(المصدر نفسه: ٤٠)

٥- الحق لا بدّ أن يؤخذ:

أشار شاعرنا إلى هذا المفهوم من خلال الاستناد على حديث للإمام علي (ع): «لنا حقّ، فإن أعطيناه وإلا ركبنا أعجاز الإبل وإن طال السرى.» (دشتي، ١٣٨٣ش: ٤٤٦)



فالحقَّ يؤخذ عنوة لا يرتجى والمرء يحظى من مناه ما اعتزم

(المصدر نفسه: ٢٧)

٦- الشرّ يكمن في التفرّق والتشتّت:

وقد أشار إلى هذا المعنى استناداً للحديث المنقول عن الرسول الأكرم (ص): «الجماعة

خيرٌ، والفرقة عذاب.» (باينده، لاتا: ٢٤١)

يا مسلمون توحدوا فالشرّ كل الشرّ يكمن في شتات المأرب

(المصدر نفسه: ٢٨)

٧- الإسلام فوق كل شيء:

وأشار أيضاً إلى قول الرسول الكريم (ص) بهذا الشأن: «الإسلام يعلو، ولا يعلو

عليه.» (باينده، لاتا: ٢١٣)

والموت خير من حياة مذلّة وسفينة الإسلام أفضل مركب

(المصدر نفسه: ٣٠)

٨- أتباع ولاية أمير المؤمنين (ع):

حديث الولاية المعروف الذي روى عن رسول الله (ص): «قال رسول الله (ص): يا

أيها الناس من أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: إنّ الله

مولاي، وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فعلىّ مولاه...

قالها ثلاث مرات.» (سجادي، ١٣٦٨ش: ٤٩١)

فالولاية لأهل البيت كذلك قد كان لها مكان في شعره، حيث أبرز الشاعر ذلك في

شتى المواضيع. فهو في قصيدة «صدق الوعد» التي هي في مدح الرسول (ص) وأهل

بيته عليهم السلام، يقول:

ليس بعد الرسول غير علي سيف حقّ يصونه الرحمن

ويخاطب الإمام علي (ع) في بيت آخر، فيقول:

يا شهيد المحراب حبك حق لنفوس رواؤها الغفران

.....



يا أميراً للمؤمنين اصطفاه
سيد الخلق وارتعناه الزمان
أنت حبّ من الإله حبيب
وجنان يحوطها رضوان
كيف ينسى يوم الغدير رجال
قطعوا العهد للرسول ودانو
أين «لبيك» يا رجال طواها
طمع تستشيره الأضغان

(نظام، ١٣٦٨ش: ٦٤)

فالشاعر المبدع نادر نظام، قد استطاع أن يستند في أشعاره إلى علوم القرآن، والأحاديث بشكل صحيح عن طريق التلميح، والاقتباس، ويلقيه في ذهن المخاطب، وفي سمعه بحيث يخوض في غماره، ويدرك معانيه. ففي هذا المجال، يعتبر نادر نظام شاعراً صادقاً، وبسيط الجانب لأن أشعاره تتبع من عاطفه دينية صادقة، ونقية يمكن لمسها بلا تكلف أو تعب. واستدلالاته في هذا المضمار، هي استدلالات بسيطة واضحة، كما قال:

الناس حولي كالقطيع وإن بدا
لي منهم ذئبٌ وكشّر أحرق
يلقون في وهم الحياة وجودهم
وعلى عيونهم حجابٌ أزرق

(المصدر نفسه: ١٣٣)

ثانياً، واقع العالم:

يبرز الشعراء ردود فعل مختلفة بالنسبة لواقع العالم الخارجي، والمجتمعات الأخرى، فأكثرهم يناورون في واقع العالم الخارج عن بيتهم، ويرفضون مبادئه حيث إنهم يعترضون على ما هو موجود على أرض الواقع، ويقرّعون من السداد، والصحة، وليست هذه المناورة إلا انتفاضة لتبديل الواقع، وإنشاء مجتمع، وعالم مثاليين جديدين، وأحياناً يكون سخطهم ناشئاً عن التمرد على الواقع الذي لا يؤمن بأيّ مبدأ.

وبعض الشعراء، تختلف أفكارهم عمّا ذكر، فإنهم يسايرون واقع العالم، والمجتمعات الأخرى، ويمجّدون الواقع الموجود عن طريق أشعار تصور رضاهم في جميع الأحوال.

وهناك شعراء آخرون يختلفون تماماً عن هذين الفريقين، فهم لا يسايرون واقع



العالم، والمجتمعات الأخرى، وفي نفس الوقت لا يقرّعونه من السداد، والصحة بشكل كامل؛ فهم يتركون العالم لحاله، ويعيشون لحالهم، وقضايهم، فهؤلاء الشعراء يتماشون مع مجريات العالم برفق.

كما يوجد جمع آخر كذلك، يسايرون العالم، ويتأملون في واقعه ومجرياته، فإن كان هذا الواقع لا يخالف مبادئهم ومعتقداتهم، فهم يرضون به ويمدحونه؛ ولكن إذا ما خالف توجهاتهم، وآرائهم المبتنية على العدل، وحقوق الإنسان، فسوف ينالون منه، وينكرون عليه. وشاعرنا هذا، يعتبر من فريق الشعراء الملتزمين بالمبادئ الإنسانية السامية.

١- قضية فلسطين:

فالشاعر نادر نظام، كأى مسلم آخر، يؤرّقه ما حل بفلسطين، باعتبارها مصيبة القرن العشرين، ولا يسكت عمّا وقع من ظلم، واضطهاد فى هذا البلد المسلم، وهو ليس كعبيد الدينار، والدرهم من بعض العرب الذين لاهمّ لهم سوى بطونهم، وفروجهم، ويكتفون بالغزل، ووصف النساء والنعيم. فهو قد علا صوته استنكاراً لهذه الوقائع المرة واحتجاجاً على الجور، والسلب، والنهب، ونادى كمصلح، ومناضل، وسياسى لا يهّمه سوى المبدأ، والقضية.

فهو لا يرى أن قضية فلسطين قضية عربية، بل يعتبرها قضية دينية، ويدعو مخاطبيه إلى التوحد، ورسّ الصفوف. فيعلن اعتراضه على تلك البلدان التى تعتبر هذه القضية كسائر القضايا الجغرافية المحدودة بمنطقة الشرق الأوسط، ويجب على الذين يعتبرونها كقضية عربية محضة، ولا يرغبون بتدخل إيران فيها، قائلاً:

ليست قضيتنا قضية يعرب	ليست قضيتنا قضية أجنبى
إنّ القضية سادتى أدهى وأعد	ظم من شعار فى مسيرة موكب
يا مسلمون توحدوا فالشرّ كل	ل الشرّ يكمن فى شتات المأرب

وفى مقطع آخر من هذه القصيدة، يدعو أغبياء السياسة، والمتشددىن من العرب إلى الاستيقاظ من الغفلة، ويحذرهم من لعبة السياسة القذرة، وينصحهم بأن يلعبوا لعبة الثورة، التى هى أفضل لعبة، ألا وهى ثورة الحجارة التى تنطلق من أيدي الأطفال فى



انتفاضتهم العارمة؛ فيحفّزهم على النهوض في الواقع عن طريق تطبيق، وقياس للواقع
الموجود، ويقول لهم كونوا كالأسود وخذوا الحق:

ودعوا الأعيب السياسة جانباً فحجارة الأطفال أفضل ملعب
كونوا أسوداً إن أردتم حقكم فالحق لا يعطي بمكر الثعلب

(المصدر نفسه، ص ٢٩)

ويشير في مكان آخر إلى طمع الصهاينة، ويدعو الغافلين من العرب للصحة من
غفلتهم:

هل يرتضى صهيون بالقدس التي غصبت يداها، وهل يقرّ بمكسب
صهيون يطلب أن يعود لخبير يا لوعة الإسلام من ذا المطلب
وفي بيت آخر يصف مكر الصهاينة، ونفاقهم:

يتقلبون تقلب الأفعى على حرّ الرمال ويلدغون كعقرب

(المصدر نفسه: ٢٩)

فكل قارئ يطلع على شعر نادر نظام بخصوص قضية فلسطين، يتبادر إلى ذهنه كون
هذا الشاعر قائداً سياسياً محتكاً، يصوّر الأحداث ويذكر الحقائق. لذلك ليس اعتباطياً
أنّ الشاعر هو لسان الأمة.

فشعره لا يؤيد ما ذهب إليه الشعراء غير الملتزمين الذين سبقوه، فيكون هذا الشعر
عبارة عن قاعدة سياسية، فهو أعطى آراءً تختلف عمّا يجول في بال البعض. فهو
يعتبر نفسه مدافعاً عن مصير المظلومين، والمشرّدين في العالم، وعلى رأسهم الشعب
الفلسطيني الذي اغتصبت أراضيها، لذلك إذا ما اعتبرنا تقديره للبشر، ودفاعه عن
مصيرهم بأشعاره، فإن هذا النوع من الشعر يكون سياسياً. وبشكل عام فإن شعر نظام
ملء بالميول الإنسانية، واحترام الكائن البشري، فيشتمل كل المبادئ السامية، لأنه
شاعر مهتم بالمبادئ الإنسانية.

٢- مصر:

في الوقت الذي أراد فيه المصريون أن يحملوا أفكارهم، ويفرضوا قيادتهم على



الشعوب العربية، واستطاعوا إلى حدٍّ ما عن طريق سيطرة جمال عبد الناصر أن ينشروا سلطتهم على بعض البلدان، لكنهم تعاملوا هذه البلدان بتكبر، وغرور، ولم يحترموا أفكارهم، وكان هذا الأمر وازعاً لأنَّ ينتقده شاعرنا بنظرته الحادّة، فصاغه في قصيدته «تَيْقُظُوا».

يقوم الشاعر في هذه القصيدة بالنصيحة، والتنبيه بأسلوب خلوق، وملائم، ويطلب من المصريين أن ينتبهوا لسياستهم الخاطئة بكل احترام وأدب، فهو خاطب المصريين، ودعاهم للنهوض من نومة الغافلين، فقال:

أبناء مصر تَيْقُظُوا واسترجعوا أمجادكم

فبعد حسن الابتداء الذي استهلّه بالنداء، والخطاب المحترم، طلب منهم في البيت الثاني أن يتركوا الجهل، والتعصّب الأعمى:

ودعوا الجهالة والتعصّب صّبّ لم يكن من شأنكم

(المصدر نفسه: ١٧٦)

وفي البيتين التاليين يستند إلى الدليل، والحجة:

فالمسلمون مرّاهم أن تدركوا إخوانكم
ضعف الثقافة سبّة كم قوّضت أركانكم

(المصدر نفسه: ١٧٦)

ثم يشير إلى فشل سياستهم في بعض البلدان التي أرادوا أن يفرضوا أفكارهم عليها:

أو ما كفاكم ما جرى في الشام من فشل لكم؟
فإذا نسيتم فاسألوا السودان ما أوريّ بكم
وكذلك اليمن السعيد مد وغيره ما نابكم

(المصدر نفسه: ١٧٦)

فالشاعر يعتقد أنّ العلة الأساسية في تخلف البلدان العربية، والإسلامية هو الجهل، وكذلك يشير إلى الغرور، والتكبر الذي نشاهده اليوم يطغى على سياسة العرب:



ودعوا الغرور وأيقنوا أن الجميع كمثلكم
واستيقظوا أن الجها لة سرّ كلّ بلائكم

(المصدر نفسه: ١٧٤)

كذلك فإن شاعرنا له اطلاع كامل على الآداب العالمية المعاصرة، وقد التحق بركب نقاد هذا الأدب، حيث إنه مال إلى مذهب الوعظ، والإرشاد، ومراعاة الخلق الحميدة. ويبدو أن الخوض في مضامين ومعاني الخلق الحسنة والمبادئ الإنسانية قد أصبح خارجاً عن نطاق مضامين الشعراء المعاصرين، وبالأخص الأدب الإنجليزي، والأمريكي بعد عصر النهضة، والحادثة عام ١٩٢٠م وألقى هذا الأمر على عاتق السياسة، وعلماء الاجتماع، ووعاظ الدين.

٣- الحرب المفروضة:

وضّح نادر نظام عقيدته في الحرب المفروضة في قصيدته «أرض الخلود»، ودافع فيها عن الصلح في إيران، وتطرّق لسياسات الحكومات العربية كذلك، فقال في البيت الأول:

أرض الخلود ومعقل الإسلام إيران يا علماً لكلّ سلام
بعد ذلك اعتبر الحكّام الإيرانيين كأفضل مسؤولين:

جاءتك من خير الوفود جحافل تسعى إليك ففيك خير مقام
ترنوا إلى الشهادة والورى يرمى خطاك بأية الإعظام
فهو في هذه القصيدة يذكر جين حكام العرب، وخنوعهم، قائلاً:

وعلى ربي قدس أقيمت دولة الظلم أسسها على الآثام
وغدت ربي لبنان ملعب حفنة ألفت بغاربها إلى الأزمان
في كل أرض بوركت، صنم ثوى وعبيد دينار وجرو عظام
فهناك في بلد توارت أمة بليت بشرّ خيانة الحكّام

(المصدر نفسه: ١١٢)

فتصويره للحكام الجبناء العرب الذين هم عبيد البطن، والشهوة، يدخل في نفس

الفارئ بتصويره الرائع الذى يسحره، ويجذبه بصوره الشعرية الرائعة التى هى غاية فى الروعة، والجمال وهذه دلالة على أنّ أشعاره التى خرجت من فمه، إنّما هى نابعة من قلبه، وليست مجرد قلقلة لسان، أو كلام فارغ. فهو قد استطاع أن يصوّر واقع هؤلاء الحكّام الأراذل، وينصحهم بالنهوض من سباتهم العميق، فقال:

يتفخرون بكل مجد عروبة وهم العبيد وموطئ الأقدام
يتدافعون إلى المذلة مثلما يهوى العليل ببؤرة الأسقام
صهيون يسرح فى مراعٍ أرضهم وهم على الربوات كالأنعام

(المصدر نفسه: ١٧٦)

والشاعر نادر نظام عندما يضيق ذرعاً بسياسات هؤلاء الحكام المنبوذين، يلتجئ إلى عبارة «الله أكبر» التى هى عبارة توقظ ضمير كل مسلم غيور. فحيث إن الضغط النفسى، والألم الذى ينتابه يزداد، ينفجر كالبركان، ويفيض كالسيل الهادر:

الله أكبر يا روابى العرب هُبْ سى واطرحى ذا العار والإظلام
ليست بلاد العرب غير مسارح وملاعب للسرك والأقزام

(المصدر نفسه: ١١٣)

وفى الختام، فإنه يمتدح المقاتلين الإيرانيين بأبيات، جاء فيها:

أبناء فارس انتم أسد الوغى ومناهلٌ للموت جدّ زؤام
خطّ الحسين لكم طريقاً للعلّاء فنهجتموه بساعدٍ حرّام
أنتم حماة الدين فى ساح الردى ورجال حربٍ للعداة قتّام

(المصدر نفسه: ١١٣)

ثالثاً، الطبيعة:

إنّ جميع المدارس الفنية، والأدبية لا بدّ أن تتأثر بصورة مباشرة أو غير مباشرة بالطبيعة، وإذا ما كان الشعر ناشئاً عن التقليد المحض للطبيعة، فإن المدارس الطبيعية الحديثة تعكس الطبيعة، وآثارها بأشكال مختلفة، ومن ضمنهم أصحاب المدرسة الرومنطيقية حيث إنهم يلجأون إلى الطبيعة حسب أفكار روسو، فنلاحظ إلهامها،



وانعكاسها في نتاجاتهم بشكل جلي، إذ يقول بودلر: «تصلنا الكلمات مشتتة من معبد الطبيعة، حيث يسمعها الشاعر، ويصوغها لنا كيفما شاء.» (هرمندي، ١٣٣٦ش: ٧٠)

أما نظام، فهو بين شعراء الطبيعة المعاصرين، تحتل الطبيعة منزلة خاصة في شعره. يصوغ لنا لسانه في هذا المضمار ماء عذباً نابعا من ينبوع الطبيعة المتدفق التي تأثر منها، وقدسها ببساطة شعره، وسلاسته. فتقدیس الطبيعة هذا ناشئ من روحه البسيطة، وصفاء ذهنه وتقواه باطنه، ولا يجب علينا أن ننسى أن الروح الإنسانية تحتاج إلى جمال الطبيعة من أجل إحياء فطرتها السليمة، فالجمال الذي تدركه الروح يكون جلياً من خلال الطبيعة، فتكون الكلمات هي السبيل للشاعر كي يعبر عن هذا الجمال الروحي. ومن خلال مطالعة أشعاره، يتضح لنا أن الطبيعة في شعره لها ميزات عديدة، ومتنوعة، وأحياناً نراه يبتدع استعارات، وتشبيهات رائعة من مصاديق الطبيعة، نشير هنا إلى بعض منها:

١- الفراشة:

العيون الخضراء تحمل ألف جناح فراشه يافراشات الربى كم ذاسلبن الزهر عطره
(نظام، ١٣٨٦ش: ١٥٠)

وهمنا كالفرش ترفّ سعياً وترشف من لمى الدوح العذبا
(المصدر نفسه: ١٥٨)

٢- الورد:

يا وردتي يا نفعه الـ أسحار في هذى الدنيّه
(المصدر نفسه: ١٩١)

وعلى دروب الطيف نثر وروّد الرجاء
(المصدر نفسه: ١٩٥)

والنور يعطر ظلّه بين الندى والياسمين
(المصدر نفسه: ٢٠٢)

وحملتُ في قلبي طيو فأ بالأزهر مقمره
(المصدر نفسه: ٥٧)



- وحكايا كالأماني من عطور الياسمين
(المصدر نفسه: ٤١)
- يا صفو أيامٍ مزجـت رحيقها بشذا الورود
(المصدر نفسه: ٨٥)
- من ملتقى سعدي تموج عوالم وتضوع من سحر البيان ورود
(المصدر نفسه: ١٠٠)
- فبين رواقص الأزهار نحيا حياة ملؤها دنيا الحقيقه
(المصدر نفسه: ١٦٦)

٣- الجبل، والربوة:

- ليت الرياح تحملني إلى ذلك الغار
في أعلى «دماوند» لأذرف الدموع وحدي
(المصدر نفسه: ١٩٦)
- ونترك شرها يمضي بحالٍ بعيدٍ عن ربانا المستضيفه
(المصدر نفسه: ١٦٦)
- كلما نال من رُباها عدوّ نهضت بالشهيد إثر الشهيد
(المصدر نفسه: ١٦٢)
- فعلى كلِّ ربوة صوت حرّ واردٍ قد صبا لقرع الحديد
(المصدر نفسه: ١٦٣)
- أفق فالنور شعشع في الروابي وأشرق وجه عمّال الحقول
(المصدر نفسه: ١٦٥)

وطنى على ذرّات رملك تلتقى شيم العلاء

- وبكل أفق من رباك ترفّ أحلام الصفاء
(المصدر نفسه: ١٦٠)
- كم ذا جنيت زهور الياسمين بها وجبت ربوتها في حورها الغيد
(المصدر نفسه: ١٩٠)



٤- الحديقة، والروضة:

أطوف بين الرياض الغارقة بالندى

(المصدر نفسه: ١٩٥)

يجفو رياضك لم يولد ولم يلد

إليك أحمل آيات السلام ومن

(المصدر نفسه: ١٩٠)

تهفو لعين الحالم الغادي

فبكل روض لى طيوف حلوة

(المصدر نفسه: ١٥٤)

وأحيى مبسم الروض بقبلاتي الطويله

أملأ الدنيا غناءً وأرى فيها خليله

(المصدر نفسه: ١٥٠)

ألقي الورود ولا أرى من يعجب

أمسيتُ وسط الروض قاطف شوكة

(المصدر نفسه: ١٠٣)

بين الرياض ورمش العين يشعله

ويذكر الودّ حين الودّ جمعنا

(المصدر نفسه: ٦٦)

٥- الشمس، والقمر:

أوما أقول الظلّ بدرٍ مظلمٍ

لم تنثرى من شمس حسنك نوره

(المصدر نفسه: ٢٣٦)

ونسجنا من سنا البدر شراعاً

لم يجد في شاطئ العشق سوانا

(المصدر نفسه: ٢١٠)

فإلى المنى نمضى لفجرٍ مشرق

(المصدر نفسه: ٢٠٥)

ر فقد عرفتك يا سمر

إن كان وجهك كالبد

(المصدر نفسه: ١٨٧)

لتصدح في حناياه العنادل

وتنسج من شعاع الشمس حلى

(المصدر نفسه: ١٦٦)

أرض النعاج سئمتها، وسئمت أصوات النفيق

فإلى السماء إلى العلا نحو الذرى أبغى الطريق

(المصدر نفسه: ١٦١)

فلدى مغيب الشمس أمضى نحو ثغـر الأرجوان كتائبه صاد

(المصدر نفسه: ١٥٥)

ويحسب نور شمس المجد خُلداً فإن دانته أصلته الحميا

(المصدر نفسه: ١٤٨)

الدقة، والغور في الطبيعة نلاحظها في أشعار نادر نظام تقرّ بهذه المسألة، وهى إنَّ السماء، والشمس، والنجوم، والعطر، والورد، والفراشه، والبر، والليل، وقطر الندى، والمرتفعات، وأغصان الأشجار، وما إلى ذلك، مصاديق للطبيعة نستنتج منها ميوله الطبيعية، وتقديسه لها. فشعر نظام فى وصف الطبيعة ناشئ عن لسان بسيط ذو جمال ذاتى وبلا تكلف، وربما يعود ذلك لثرائه بالمعاني السامية، ومن الجدير بالذكر هنا، أنّ عناصر الطبيعة التى تتجلى فى شعره، تكون منسجمة، ومتلائمة، ومن جانب آخر تطبيقها على مجريات الحياة، وتصويره لها يعتبر من خصوصيات هذا الشعر البارزة؛ وفى الحقيقة إن سرّ خلود الشعر يكمن فى هذا المنوال، أضف إلى ذلك فإنّ نظام يصوّر ذاته فى أشعاره، ويتنفس من خلالها عقب الحياة.

النتيجة

والمتمأل فى شعر نادر نظام يجد أن من مصاديق الطبيعة فى شعره هى: الورد، والفراشة، والليل، والشمس، والأشجار، وما إلى ذلك، والجدير بالذكر أنها ناشئ عن لسان ذى جمال ذاتى دون تكلف.

وقد استطاع شاعرنا أن يستند فى أشعاره إلى القرآن، والأحاديث بشكل صحيح عن طريق التلميح، والاقْتباس فيمكن لنا أن نحكم بأنها تنبع عن عاطفه دينية نقيه. ويتبين من خلال دراسة شعره فى مجال السياسة، أنه يساير العالم، ويتأمل بواقعه،



وحوادثه، وهو أن كان هذا الواقع خالف توجهاته، وآرائه المبنية على العدل، وحقوق الإنسان فسوف ينال منه، وينكر عليه فهو ملتزم بالمبادئ الإنسانية السامية.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

الإدارة العامة لوثائق وشهادات جامعة آزاد الإسلامية. ١٣٨٧ش. أربعون أستاذاً. إيران.

الباطين، ١٩٩٦م، معجم الباطين، الكويت.

باينده، أبو القاسم. لاتا. نهج الفصاحة. إيران. منشورات جاويدان.

الدشتي، محمد. ١٣٨٣ش. نهج البلاغة. منشورات سبط النبي. إيران.

رستمبور، رقيه. ١٣٨٦ش. نفعات شعرية. منشورات فرهنك منهاج. طهران.

سجادي، سيد ابراهيم. ١٣٦٨ش. على مرآة الحق. تبريز.

نظام، نادر. ١٩٦١م. اللحن الخالد. المقدمة. دمشق. مطبعة كرم.

هنرمندی، حسن. ١٣٣٦ش. از روماتيسم تا رئاليسم. طهران.

